تعريف الديمقراطية وتطورها التاريخي:

الديمقراطية كلمة اغريقية قديمة، دخلت اللغة الانكليزية في القرن السادس عشر، وحسب مدلولها اليوناني القديم تعني (حكم الشعب)، لانها مكونة من كلمتين الاولى (Demos) وتعني الشعب، والثانية (kratia) وتعني الحكم وينظر اليها على انها من الامثلة التي تنطبق عليها المفاهيم المعاصرة للحكم الديمقراطي، ووجدت هذه الكلمة في الكتابات اليونانية القديمة، وتعرف على انها نموذج جيد في ممارسة السلطة يختلف عن الانظمة السابقة كنظام الملك والامبراطور واله، اذ يجتمع فيه المواطنون ويشتركون في اتخاذ القرارات اللازمة

وبذلك يمكن تعريف الديمقراطية بأنها:

- (اختيار حر للحاكمين من قبل المحكومين يتم خلال فترات منتظمة)
- (حكم الشعب بالشعب للشعب)
- (حكم أكثرية الشعب)

ان مفهوم الديمقراطية مر بمراحل تطور حتى وصل الى ما هو عليه بالوقت الحالي، ونوجز مراحل التطور التاريخي بالاتي:

١- حضارة وادي الرافدين

نشأت حضارة وادي الرافدين في اواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وفي حدود الالف الثاني قبل الميلاد بدأ التطور في أنظمة الحكم ، تشير الدراسات ان كلمة حرية وردت في نصوص سومرية على الالواح الطينية ، وهذا دليل على تخليص الانسان وتحريره من الظلم الواقع عليه، وبذلك وضع العراقيون القدامى الاصلاحات والقوانين التي تحفظ للفرد حقوقه وحريته.

شهد العراق القديم اولى تجارب الديمقراطية عندما عرف نمطاً منها يسمى بـ (الديمقراطية البدائية) ، وان هذه الديمقراطية النيابية قائمة بالجوهر على اساس جهاز شعبي يتمثل في مجلسين هما (مجلس الشيوخ) و (مجلس العامة يمثل المحاربين) ووضعت السلطة بيد المواطنين الاحرار ، فضلاً عن حاكم لم يكن الا من الاعيان.

٢- حضارة وادي النيل

ظهرت هذه الحضارة في مصر القديمة في اواسط الالف الثالث قبل الميلاد ، كان النظام السياسي ملكياً يحكمه الفرعون ، وتعد حضارة وادي النيل من الحضارات القديمة التي وصلت الى مراحل متقدمة من التطور وقد تنوعت فيها انماط الحكم وكانت على ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الاولى: مرحلة الدولة الفرعونية القديمة

توصل المصريون في هذه المرحلة الى الكتابة الهيروغليفية ، وكان الحكم ملكياً مطلقاً، ولم يكن هناك في هذه المرحلة أي تدخل من قبل الشعب في ادارة الدولة.

المرحلة الثانية: مرحلة الدولة الفرعونية الوسطى

شهدت هذه الفترة تطوراً في مجال الحقوق والحريات العامة، وذلك بإصدار الدولة قانوناً يمنع السخرة ووضع المعايير العادلة للاجور اما نظام الحكم فقد تنازل الفراعنة عن فكرة الوهية البشر واكتفوا بتنصيب أنفسهم ملوكاً على البشر وهم عباد حالهم حال عامة الناس، وكانت نهاية هذه المرحلة عندما تعرضت مصر الى غزو الهكسوس.

المرحلة الثالثة: مرحلة الدولة الفرعونية الحديثة

عاد نظام الحكم الى أوله بتنصيب الملك نفسه اله وهو المشرع الوحيد للقوانين ، وهو المنفذ لها في نفس الوقت، وقد حدثت في هذه الفترة قصة نبي الله موسى (عليه السلام) الذي جاء بالديانة اليهودية ، والتي أكدت على العناية بالانسان والجزاء على الفضيلة والعقاب على الرذيلة في كتاب (التوراة).

ومن خلال ما تقدم تبين لنا ان نظام الحكم تغير في المرحلة الثانية اذ سمح الملك بالتشاور مع الشعب في بعض الشؤون الا انه سرعان ما عاد الى النظام الالهي بعكس ما كان في حضارة وادي الرافدين التي كان فيها تطور نظام الحكم ملحوظاً حتى عرف ما يسمى بالديمقراطية البدائية .

٣- الحضارة اليونانية

ان الحضارة اليونانية كانت البداية لنشأة الحريات الغربية، فكان مستوى التنظيم جيداً وعدد السكان قليلاً مما سمح لهم في تسيير الشؤون العامة بشكل مباشر، والديمقراطية السياسية اليونانية كانت مقتصرة على الطبقة الارستقراطية وهي طبقة المواطنين.

وتعود جذور الديمقراطية الى سقراط وافلاطون وارسطو حيث جرى توسيع دائرة الحقوق بين البشر اذ اوجبوا اشراك جميع المواطنين في ادارة شؤون المدينة، وان يوضع على رأس الدولة المشرعون الذين يكتسبون الحكمة من خلال البصر بالامور والاحساس بالواقع العملي وهؤلاء يشكلون مجالس تنفيذ القوانين.

نشأت الديمقراطية في ظل نظام حكم حضارة اليونان، مع الاقرار بنظام الرق والعبودية، والذي يعدهم لا يملكون حقاً في الحياة العامة، واعترف بذلك افلاطون وأيد الاسترقاق كما أيده اغلب فلاسفة اليونان انذاك ورداً على هذا الفكر قامت ثورات عديدة للعبيد، قمعت جميعها بوحشية بعد وقت قصير من قيامها.

٤- الحضارة الرومانية

بدأت بذور الحرية الثانية بمفهومها العصري في هذا العهد من خلال الاقرار بالانسان وشخصيته، ونجد ان اليونان عرفوا الحرية بمفهومها الفلسفي والدولة هي كل شيء، اما الرومان فقد عرفوها بالاجتهاد القانوني، فأصبح للفرد حرية انشاء العقود والتعاقد.

ان عملية تطور الديمقراطية في الحضارة الغربية هو نتاج عملية تاريخية تراكمية للفكر الغربي، فالديمقراطية ليست نتاج قرار معين في حقبة زمنية محددة، وانما هي مفهوم نما وتكامل عبر مسيرة الانسانية في تاريخها الطويل في تكوين المجتمعات وانظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على الوجه الذي نعرفه اليوم، وعلى الرغم من الطروحات السياسية للفلاسفة، الا ان نظام الحكم كان مفتقراً الى المساواة الاجتماعية ، فهي ذات طابع ارستقراطي يجعل الحكم

محصوراً بيد الاصلح والافضل من القلة الحاكمة، وذلك لجهلها لمعنى الحريات الفردية المرتكزة على حقوق معترف بها قانوناً.

٥- العصور الوسطى والحديثة

بدأت في العصور الوسطى نشوء الامبراطوريات والدول الكبرى مثل الامبراطورية العربية الاسلامية، والامبراطورية الرومانية، والامبراطورية الصينية ، والمغولية والفارسية الامر الذي قضى على الديمقراطية وفرص قيامها، وبعد مدة بدأ عصر النهضة الاوروبية والاصلاح الديني فبدأت الديمقراطية بالظهور والتطور نتيجةً لوقوف الفلاسفة بوجه الملوك الذين طغوا في تعاملهم مع الافراد، وقد ساعدت عدة أسباب على هذا النمو، منها:

أ- تأثير الاراء الدينية

ب- الاستياء من الحكم الملكي

ت- مساعدة الظروف الاجتماعية والسياسية لنمو فكرة المساواة

ث- تأثير النظريات السياسية البحتة

وبعد انتهاء هذه الحقبة، بدأت الديانات بالظهور كالمسيحية والاسلامية التي وضعت الحجر الاساس لمفاهيم الديمقراطية والحرية كانتشار فكرة المساواة الكاملة بين القبائل والاعراق وفكرة المساواة بين الافراد وفكرة التعاون والشورى وغيرها.

وتعد انكلترا اكثر الدول الملكية التي خطت نحو سبيل الديمقراطية الحديثة، واولى خطواتها كانت في النزاع الذي اشتد بين الملك جون وبارونات انكلترا والذي اسفر عن توقيع الوثيقة الكبرى (الماكناكارتا) والتي تضمنت (٦٢) مادة تخص التغير الحاصل في سياسة الملك مع شعبه.

وفي العصور الحديثة توسع النظام الديمقراطي بشكل موجات اثر حروب او انقلابات عسكرية او ثورات تحت اعتبارات تحرير الشعوب، وبعد الحرب العالمية الثانية سادت في معظم الدول المستقلة الحديثة دساتير لا تحمل من الديمقراطية سوى التسمية فقط، وقد ساعدت الديمقراطية